# " دراسة نفسية للشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية عبر القوارب وسبل التكفل بهم عمليا في الجزائر"

## - دراسة ميدانية على عينة ناجية من الشباب سبق لهم وأن عاشوا تجربة الهجرة السرية بحرا

**د. العيد فقيه**
جامعة أبي بكر بلقايد ،
تلمسان.

**مقدمة:**

إن فهما موضوعيا ومفيدا لمشكلات الشباب الجزائري، يفرض علينا النظرة الشمولية للموضوع في إطاره الاجتماعي والحضاري والسيكولوجي. وأن أية محاولة لدراسة ظاهرة الهجرة السرية لابد وأن تستند إلى تحليل شمولي يراعي الظروف الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية للجزائر، كما يتطلب ضبط الظروف النفسية التي أنتجتها.

والدراسة الحالية ما هي إلا محاولة لملامسة واقع الصحة النفسية لشريحة من الشباب في مخاطر حقيقية، وإن كانت ظاهرة الهجرة السرية على مستوى الشباب لا تشكل رقما مهولا، وظاهرة عامة تميز أغلب الشباب في الجزائر، إلا أن أي روح لأي شاب تزهق عبثا في عرض البحر مدعاة للقلق من جهة، والبحث والدراسة عن واقعهم المعيش من جهة أخرى. ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لكشف اللثام عن مشكلات الصحة النفسية لدى بعض الشباب، من مشاعر الاغتراب والقلق والاندفاعية والمخاطرة الحقيقية، فيقع أسيرا للتطرف في استجاباته وسلوكه ومواقفه بعيدا عن وسطية السلوك وسوائه.

### الجزائر والهجرة السرية عبر القوارب المطاطية

عرفت الجزائر في هذه العشرية من القرن الحالي منعطفاً خاصاً تجلى في تنامي ظاهرة الهجرة السرية من خلال ما اصطلح على تسميته بـ "زوارق الموت". تعتبر الجزائر من الدول المتضررة من الهجرة السرية، حيث تحولت تدريجياً إلى معبر لها، وبلد إقامة لبعض القادمين من بلدان أفريقية، والراغبين في الهجرة نحو أوروبا. حيث توصلت الدراسة الأمنية التي قام بها (عيدات أحمد، 2008) حول الهجرة السرية في الجزائر إلى ارتفاع عدد القضايا المعالجة بنسبة 300 بالمائة و669 شخص موقوف، وحرصت الدراسة على التوضيح على أن أغلب "الحراقة" شباب تتراوح أعمارهم بين 18 و28 عاما، إضافة إلى قصر وكهول تتجاوز أعمارهم 40 عاما، ومنهم نساء شابات، إضافة إلى طلبة

وبطالين وموظفين ومستخدمين وأصحاب نشاطات حرة، إشارة إلى أن المرشحين للهجرة السرية يمثلون جميع الفئات.

وفي مجال مكافحة الهجرة السرية، أشارت الدراسة الأمنية إلى أن عدد المرشحين للهجرة السرية ارتفع بنسبة 50 بالمائة عام 2007 وهو في تزايد مطرد. وبلغة الأرقام، بلغ عدد "الحراقة" الموقوفين من طرف مصالح الدرك 1071 شخص عام 2007 .

كما أشارت الدراسة أنه خلال الثلاثي الأول من سنة 2007 تم توقيف 688 مهاجر غير شرعي، أغلبهم يحملون الجنسية النيجرية والمالية، ويأتي المغاربة في الترتيب الثالث. وأودع 156 موقوف الحبس، ومن بين هؤلاء 25 مهاجرا غير شرعي بتهمة تزوير الوثائق والعملة مقابل 3 موقوفين بتهمة حيازة مخدرات إضافة إلى 41 أجنبيا متورطا في قضايا التهريب خاصة بالحدود الغربية. وحاليا الجزائر تبذل جهوداً متواصلة على العديد من المستويات من أجل محاربة الهجرة السرية، في معركة مفتوحة ضد من يتاجر في تهريب الأرواح البشرية.

## مفاهيم البحث

### مفهوم الهجرة السرية

تتعدد دلالات الهجرة سميولوجياً بين هجرة سرية، وهجرة غير شرعية، فهي بالمقارنة مع الهجرة الرسمية تعتبر غير شرعية وغير مرغوب فيها، والسبب في تنامي هذا النوع من الهجرة يرجع إلى تقنين حركة الهجرة إلى أوروبا، فطرحت مشاكل بالنسبة للشباب الجزائري، فمادام هؤلاء لا يحصلون على حق الإقامة فإنهم يتحولون إلى مهاجرين سريين.

وبما أن أوروبا فرضت التأشيرة على كل الذين يودون دخول أراضيها من دول المغرب العربي، فإن هؤلاء الشباب حاولوا بكل الطرق الوصول إليها سواء بأساليب شرعية أو غير شرعية. بالرغم من الحراسة المشددة التي حاولت الدول الأوربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط فرضها للحيلولة دون قدوم الأجانب إليها، فإن قوارب الموت استمرت في نقل شرائح مختلفة من المواطنين الجزائريين والأفارقة، معظمها من الشباب الذين ضاقوا ذرعاً بالفقر والتهميش من وجهة نظرهم، وطمحوا للوصول إلى الجنة الموعودة. وساهمت شبكات التهريب والتزوير والعصابات التي تتاجر في مستقبل الشباب في استفحال ظاهرة الهجرة السرية رغم كل المخاطر التي تتضمنها.

### مفهوم الصحة النفسية:

يرى (عبد المطلب أمين القريطى، 1998: 28- 29) أن "الصحة النفسية السليمة هي حالة عقلية انفعالية إيجابية، مستقرة نسبيا، تعبر عن تكامل طاقات الفرد ووظائفه المختلفة، وتوازن القوى الداخلية والخارجية

الموجهة لسلوكه في مجتمع ووقت ما ومرحلة نمو معينة، وتمتعه بالعافية النفسية والفاعلية الاجتماعية." يوضح القريطى في هذا التعريف حالتين أساسيتين تتسم بهما الصحة النفسية وهما: حالة الاستقرار النسبي والحالة الإيجابية، اللذان يشكلان في النهاية حالة تعبر عن التكامل بين طاقات الفرد وإمكاناته ووظائفه المختلفة، الانفعالية والعقلية و الدافعية من جهة، ثم التوازن بين القوى الداخلية والخارجية من جهة أخرى. وفي النهاية يشكل كل من التكامل بين الطاقات، والتوازن بين القوى على تنوعها عملا واحدا منتظما ديناميا.

عندما يتحدث القريطى بأن الصحة النفسية هي "حالة مستقرة نسبيا" فهو يعني بذلك مدى تفاوت الأفراد في تمتعهم بالصحة النفسية. ذلك أن ميزة الحال أنه لا يثبت ولا يستقر استقرارا تاما ودائما، والحالة سميت حالة لتحولها، وهي سمة من السلامة العقلية وانفعالية مرتبطة بالجسم في تفاعل مستمر. أما المقصود من "الحالة الإيجابية" هو أن الصحة النفسية السليمة تنتمي إلى قطب الصحة أكثر مما تنتمي إلى قطب المرض، ومن منظور إحصائي تقع الصحة النفسية في الجزء الموجب من المنحنى الاعتدالي المعياري، أي بين الصفر والانحراف المعياري الثالث الموجب.

يحدد القريطى في هذا التعريف مظاهر الحالة الإيجابية للصحة التي قوامها التوازن بين القوى، والتكامل بين الطاقات في فئتين مترابطتين من المظاهر أطلق عليهما: العافية النفسية، والفاعلية الاجتماعية.

- مظاهر السلامة النفسية: تتضمن التكامل النفسي، والتوافق النفسي، والاتزان الانفعالي، وضبط النفس والتحكم في الذات ، السلوك العادي والخلو النفسي من الأعراض المرضية، الشعور بالسعادة مع النفس والآخرين، تبني إطار قيمي إنساني وأخلاقي، والرضا عن الذات وتقبلها وتحققها.
- مظاهر الفاعلية الاجتماعية: تتضمن التوافق الاجتماعي مع الآخرين في المجالات التي يمارس فيها الفرد نشاطه، الإيجابية وتحمل المسؤولية، نجاح المرء في عمله ورضاه عنه.

**مفهوم الاغتراب**

يعتبر الاغتراب من المصطلحات الكثيرة التناول، فقد نجده يحمل معان متعددة بتعدد التخصصات العلمية، لقد تم استخدامه كمصطلح في الدراسات القانونية، والنفسية والاجتماعية والسياسية والفلسفية والاقتصادية، والدينية. يذكر لنا (ريشارد شاخت، 1980، ص64) الأصل اللغوي لكلمة الاغتراب هو Alienatio ويستمد هذا الاسم معناه من فعل Alienare بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر، وهذا الفعل مستمد بدوره من لفظ يعني "الآخر"

سواء كاسم أو صفة... وأيضا في اللغة اللاتينية يمكن استخدام مصطلح Alienats mentis بمعنى الاضطراب العقلي، أو فقدان الوعي، أو الشلل، أو التخلف العقلي.

إن الاستخدامات المتعددة لمفهوم الاغتراب لا تعني الغموض أو التناقض بقدر ما تعني ثراء المفهوم فلسفيا واجتماعيا ونفسيا، فالاغتراب عموما يشير إلى ذلك الانفصال عن الذات أو المجتمع أو البيئة أو اللّه. فيصبح الفرد ينظر إلى أن الحياة تمضي على نحو لاإنساني، وعبث غريب يأخذ الإنسان نحو الفراغ الوجودي والملل من الحياة نفسها، أو شعور بالتحلل من القيم ورفض المعايير الاجتماعية، أو الانسحاب من المجتمع والالتصاق بالذات في إطار العزلة النفسية والاجتماعية. ففي ظل هذه المشاعر والرؤى للفرد تضطرب نفسيته وتظهر مجموعة من الأعراض كالعزلة واللامعيارية والعجز واللامعنى والتمرد...وكلها سلوكات تعكس بعمق ذلك الوجود الفردي غير الفاعل.

تعتبر بحوث (Seman.M,1959) في (تحية محمد عبد العال، 1989، ص49) من المحاولات التي أسهمت في تحديد الأبعاد المختلفة للاغتراب، حيث حدد الاغتراب في خمسة أبعاد كما يلي:

– الإحساس بالعجز: وهو شعور الفرد أن مصيره وإرادته بيد قوى خارجة عن ذاته، ولا يستطيع أن يؤثر في الظروف التي تحيط به، من ثم فهو عاجز عن أخذ وصنع القرارات المهمة المرتبطة بمصيره أو التأثير في مجرى الحياة ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع، وبالتالي عدم القدرة على تحقيق الذات.

– الإحساس باللا معنى: وهو شعور الفرد بأن الحياة لا معنى لها وأنها خالية من الأهداف التي تستحق أن يحيا وأن يسعى من أجلها، وبالتالي توقع الفرد أنه لن يتمكن التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة النتائج المستقبلية للسلوك.

– الإحساس باللامعيارية: يوظف "Seman" مفهوم "الأنوميا" التي تحدث عنها "دوركايم" بمعنى انهيار القيم الذي يؤدي إلى سلوك مضاد للمجتمع، أي إحساس الفرد بالفشل في إدراك وفهم وتقبل القيم والمعايير السائدة في المجتمع، وعدم قدرته على الاندماج فيها نتيجة عدم ثقته بالمجتمع ومؤسساته المختلفة.

– العزلة الاجتماعية: إحساس الفرد بالغربة تجاه الآخر، وبالتالي محاولة الابتعاد عن العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه.

– الاغتراب عن الذات: وهي حالة من الصراع مع الذات تؤدي بالفرد عدم القدرة على التواصل مع نفسه والشعور بالانفصال عما يرغب أن يكون عليه، أي إحساس الفرد وشعوره بتباعده عن ذاته.

- **مفهوم الشباب وعلاقته بالاغتراب**

يورد لنا (إبراهيم مذكور، 1975، ص333) تعريفا لغويا لكلمة شباب حيث يقول:" ترد كلمة شباب بمعان متعددة حيث يقابلها لفظ شبب وتعني الفتوة والحداثة، وجمعها شباب وشبيبة، ومرادفاتها كثيرة منها يافع ومراهق وفتى وغلام وهي كلمات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومنفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسدية وأخلاقية ونفسية ووجدانية لفترة من فترات الحياة، وهي إجمالاً خصائص القوة والنشاط".

يستخدم مفهوم الشباب في عدة مجالات، وأصبح هذا المفهوم متداول في مختلف الحوارات ذات الصلة بانحراف الشباب أو بطالة الشباب أو هجرة الشباب. تنشأ المشكلات النفسية عند الشباب وخاصة لدى الشباب ذو البنية الهشة، عندما ترسخ في ذهنه فكرة أن الحياة معقدة ويصعب التكيف والتوافق مع متطلباتها، و"كلما امتدت فترة المراهقة عبر الزمان، كلما عاشت الشبيبة زمن ميت، وفراغ اجتماعي" على حد قول (Mendel,1979,p248). وأن فئة الشباب في الجزائر نشأت وترعرعت في فترة متقلبة الأحداث، فالتغيرات الوطنية والعالمية التي حدثت في العشريتين الأخيرتين جعلت الشباب يعيش في صراع تقليدي بين القديم والحديث. فالبحث عن الذات التي يرضى عنها والتي تحقق له الاكتفاء ما هي إلا محاولة مضنية لاستعادة الهوية المسلوبة في ظل تراكم الأحداث. إنها محاولة قد تؤدي بهم إلى الانحراف أو التفكير في الهجرة والابتعاد عن الموطن الأصلي في غياب الشروط الضرورية للأمن النفسي. يذكر في هذا الصدد (شريف ومحمد، 1986، ص28): " أن المحافظة على الوجود والإحساس بعدم الأمن، نتيجة الأخطار الداخلية والأخطار الخارجية تجعل الشباب يعيش في خوف دائم، فهو بحاجة إلى الأمن السياسي والاجتماعي والاقتصادي، مما يجعل الشباب يعانون من بعض المشكلات". ويرى (صالح بن إبراهيم الصنيع، 2002، ص16) أن الاغتراب يمثل أحد أسباب إدمان المخدرات، وعدوانية الشباب وتمردهم على النظام، وفقدهم للحس الاجتماعي، والهوية والانتماء الوطني، والتبلد والسلبية واللامبالاة وغيرها من الأمراض الاجتماعية والنفسية المدمرة، خاصة في ظل تجليات العولمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتأثيراتها على تغريب الذات وتهميش الشخصية، وتعميم نوع آخر من ثقافة الاستهلاك.

ولعل من أبرز مظاهر اغتراب الإنسان في حياتنا المعاصرة، ما تفصح عنه الإحصاءات والدراسات السيكولوجية والاجتماعية، وخاصة في بلدان شمال أوربا والولايات المتحدة، من زيادة خطيرة في انتشار الأمراض النفسية والانتحار وإدمان الخمور والمخدرات والانحلال الجنسي والدعارة. ومن هنا كان الاغتراب مشكلة إنسانية عامة، وأزمة للإنسان المعاصر، وإن اختلفت أسبابه ومظاهره ونتائجه من مجتمع لآخر ومن جيل إلى جيل، فهو يشير إلى

شعور الفرد بعدم الانتماء للآخرين وللمجتمع الذي يعيش فيه، أو رفض الآخرين والمجتمع له ولعل ذلك يبرر انتشار استخدام مفهوم الاغتراب في الموضوعات التي تعالج مشكلات الإنسان المعاصر، حيث يصرح (Bahro,1978,p381) قائلا:" ما يلزم أفراد المدنية المعاصرة، ليس بروز حاجات متنوعة جديدة، ولكن تحقيق الذات من خلال البحث عن فرص ينشط فيها الشاب وتحقق له المتعة، كالرغبة في العمل ومتعة الاتصال وإقامة علاقات مع الآخرين، أي التوجه فعلا نحو البحث عن متعة الحياة الواقعية".

**ثانيا: الدراسات السابقة**

- دراسة (عبد الغني شفيق، 2004) حول الشباب المغاربي والهجرة السرية، حيث ركزت هذه الدراسة على تصور الشباب لأوضاع المهاجرين في البلدان المستقبلة، حيث أسفرت على أن الغالبية العظمى من هؤلاء الشباب يستحسنون الأوضاع في البلدان الأوروبية، ويفضلونها على وضعية البطالة في بلدهم، و أعزى ذلك إلى غياب فرص العمل والاندماج في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى ضعف التأطير الثقافي والسياسي الذي يمكن أن تلعبه هيئات المجتمع المدني ساهم بشكل واضح في التشجيع على الهجرة، بالإضافة إلى "التمثلات" التي يحملها الشباب المغربي عن أوروبا، وما تساهم به في تأجيج الرغبة في الهجرة دون تقدير المخاطر، فأوروبا بالنسبة للعديد منهم تعد بمثابة الفردوس المفقود والسبيل الوحيد للانتهاء من متاهات البطالة والتشرد والتهميش، والتفكير في الهجرة يمثل الحل الأمثل لذلك.

- دراسة (كنزة الغالي،2004، ص23) حول النساء المغربيات المهاجرات في إسبانيا، حيث أفاد تحليلها السوسيولوجي أن الهجرة السرية لا تقتصر فقط على الشباب الذكور بل أصبحت تهم عدداً كبيراً من الفتيات والأطفال القصر، وبذلك أصبحت الهجرة تعبر عن خلل في البنية الاجتماعية، وعن تهميش اجتماعي واقتصادي لشرائح معينة من المجتمع المغربي. و أن الدول الأوروبية تواجه صعوبات كثيرة خاصة فيما يتعلق بموضوع الهجرة غير الشرعية، فإلى جانب تدفق المهاجرين إليها فإنها تعاني مشاكل أخرى لها ارتباط مباشر بالهجرة، وذلك مثل تزايد نشاط السوق السوداء لليد العاملة والتهرب الضريبي والانفلات الأمني.

- دراسة (Polk,1984) حول الاغتراب، واختار عينة واسعة من الشباب من مختلف الشرائح، واستخدم تقنيات تحليل المحتوى في تفسير النتائج، وخلصت دراسته إلى أن مشكلة اغتراب عند الشباب مشكلة ثقافية تربوية أكثر من كونها اجتماعية أو نفسية، وما يسمى بالفجوة الثقافية أو الصراع الثقافي ما هو إلا صراع ثقافي بين القيم والعادات، فالجيل الجديد من الشباب يعارض المنظومة القيمية وشبكة العلاقات التي تفرضها مؤسسات التنشئة

الاجتماعية خاصة على مستوى الأسرة والمدرسة كمؤسسات تربوية، فهو من جهة يرفض الخضوع لمطالب الأسرة ومن جهة أخرى يرفض السلطة التي تمارسها الإدارة المدرسية خاصة في تحديد طبيعة الأنشطة التي يمارسها، فينشأ ما يسمى بالاغتراب الاجتماعي داخل المؤسسة التربوية وخارجها.

- دراسة (Jacque l'azure,1984) حول فساد المجتمع والشباب، حيث خلص الدراسة إلى أن الشباب يعيش حالة الاغتراب والعجز في ظل المجتمع البديل – Société alternative سواء على مستوى المؤسسات المدرسية، أو سوق العمل أو حتى على مستوى النظام السياسي. وأكدت الدراسة أن الاغتراب على مستوى الشباب يتمثل في أربعة هي: الشعور بغياب السلطة، الشعور بغياب معاني الحياة، غياب معايير النشاط " Absence de normes d'action"، والشعور بالعزلة الاجتماعية. وأشارت الدراسة أن سبب اغتراب الشباب يرجع إلى عدم قدرة المؤسسات الاجتماعية الاستماع إليهم جيدا، وعدم مشاركتهم في أخذ القرار. بالإضافة إلى ذلك أنهم يجهلون المعاني الحقيقة للحياة ويفتقرون إلى النظرة العميقة للأشياء، كما قد طوروا نمط حياة يقتصر فقط على استعجال تلبية الرغبة، إنهم في وضعية الأنوميا الاجتماعية.

دراسة (Calabrese,1987) حول المراهقة كمرحلة نمو نحو الاغتراب، حيث خلصت دراسته إلى تأكيد سمتين للاغتراب: السمة الأولى نفسية أما السمة الثانية اجتماعية، ومن مظاهر هاتين السمتين: السعي لتدمير الملكية العامة، ورفض للسلطة بأنواعها المختلفة، والهروب والتسرب من المدرسة، ورفض القيم السائدة في المجتمع والمدرسة والأسرة.

**ثالثا: تحديد إشكالية الدراسة وصياغتها**

إن جل الدراسات السابقة التي تناولت الاغتراب، تمحورت خاصة حول الشباب في فئرة المراهقة، والشباب الجامعي، فمنها من حاول قياس الاغتراب كظاهرة متعددة الأبعاد، وأخرى تناولت الاغتراب وعلاقته ببعض المتغيرات النفيسة والاجتماعية للفرد، ومنها من حاول دراسة الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات العصر وخاصة العولمة. إن المتأمل لمختلف الدراسات السابقة يلاحظ أن جل الدراسات تؤكد أن شريحة واسعة من الشباب تعاني من مشكلة الاغتراب عن الذات أو الآخرين، كما أظهرت أن مشكلة الاغتراب تختلف باختلاف الجنس والسن، إلا أنه لا توجد دراسات حسب اضطلاع الباحث عن مشكلة الاغتراب وعلاقته بالهجرة السرية لدى الشباب بطريقة تفصيلية. وفي ما يلي بعض الدراسات العربية الأجنبية قريبة الصلة بموضوع الدراسة الحالية:

تتحد الإشكالية لهذه الدراسة في البحث عن مجموعة من المتغيرات النفسية التي تدفع بعض هؤلاء الشباب إلى تقديم أنفسهم وأرواحهم قرباناً من أجل الانتقال إلى الضفة الشمالية- الجنة الموعودة – بالرغم من مآسيها ومشاكلها وبالرغم من العنصرية التي قد يتعرضون لها، يطرح هذا الموضوع في صيرورته وسياقه من البدء، الإشكالية التالية:

هل تكمن الأزمة لدى هؤلاء الشباب الذين خاضوا تجربة الهجرة السرية عبر القوارب إلى المشكلات التي يواجهها الشاب في فهم ذاته وقبولها، والتعامل مع الآخرين والواقع بصورة غير سليمة تنويها لذلك الاغتراب الذي يعتري الشخصية؟ أم في المشكلات التي تنطوي عليها تصرفات الشباب لأسرته والقائمين على شؤونه والمجتمع بأكمله؟، وهل فعلا أن هذه الشريحة من الشباب المغامر، غاضب غضبا شاملا وأكثر عدوانية وتمردا وثورة مما توحي به استجاباتهم اللفظية والرمزية التي لا تخلوا من الاندفاع والعصبية؟.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بطريقة أكثر وضوح من خلال التساؤلات التالية:

- هل توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الاغتراب والهجرة السرية؟
- هل توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الصحة النفسية والهجرة السرية؟
- هل يمكن تحديد الظروف الذاتية والموضوعية التي تحيط بهؤلاء الشباب بدقة كافية؟
- ما هي سمات الشخصية الأكثر شيوعا بين هؤلاء الشباب؟
- ما هو مستوى الصحة النفسية الذي يميز هؤلاء الشباب؟

**الهدف من الدراسة**

يكمن الهدف من الدراسة الحالية في التعرف على طبيعة العلاقة بين الاغتراب والهجرة السرية، ورصد مستويات الصحة النفسية لدى الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية، وتحديد مختلف الظروف النفسية التي تحيط بهم.

**أهمية الدراسة**

تكمن أهمية هذه الدراسة في تقديم تسليط الضوء على واقع الصحة النفسية للشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية، خاصة وأن الاغتراب حالة نفسية يعيشها الإنسان نتيجة للظروف التي يمر بها، ويعد من المشكلات التي يجب دراستها والحد من انتشارها لما لها من آثار سلبية على شريحة الشباب.

**حدود الدراسة**

تتحدد هذه الدراسة بالعينة المستخدمة، وفي ضوء الأدوات والأساليب الإحصائية المستخدمة، ومدى إمكانية تعميم النتائج المتوقعة على مجتمع الشباب في الفترة الزمنية التي تمتد بين سنتي 2008- 2010.

## إجراءات الدراسة

### العينة ومواصفاتها

الفئة الأولى من عينة الدراسة تقدر بـ 50 شاب تم اختيارهم بطريقة قصدية على أساس أنهم خاضوا تجربة الهجرة السرية، واستخدموا القوارب المطاطية للانتقال إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، ويقع عمرهم الزمني بين 20- 30 سنة، وبما أننا استخدمنا معامل الارتباط الثنائي ومعامل الارتباط للاتفاق (C) كان لزاما علينا اختيار فئة ثانية من الشباب تقدر بـ 50 شاب تتمتع بنفس المواصفات الاجتماعية والاقتصادية والعمرية للفئة الأولى إلا أنهم لم يسبق لهم وأن خاضوا تجربة الهجرة السرية. والجدول التالي يبين مواصفات العينة المستخدمة في الدراسة

**الجدول رقم 1 يوضح حجم العينة ومواصفاتها وفقا لمتطلبات الدراسة الحالية**

| العينة / النشاط المهني | فئة الشباب الذين خاضوا تجربة الهجرة السرية | فئة الشباب الذين لم يخوضوا تجربة الهجرة السرية | المجموع |
|---|---|---|---|
| بطال وينحدر من أسرة متكاملة ومستوى دخل أسري متوسط | 4 | 4 | 8 |
| بطال وينحدر من أسرة غير متكاملة ومستوى دخل أسري منخفض | 1 | 1 | 2 |
| نشاطات مهنية حرة وينحدر من أسرة متكاملة ومستوى دخل أسري متوسط | 15 | 15 | 30 |
| مهن حرة وينحدر من أسرة متكاملة ومستوى دخل أسري منخفض | 20 | 20 | 40 |
| مهن حرة وينحدر من أسرة غير متكاملة ومستوى دخل أسري منخفض | 6 | 6 | 12 |
| طالب جامعي وينحدر من أسرة متكاملة ومستوى دخل أسري منخفض | 3 | 3 | 6 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| طالب جامعي وينحدر من أسرة غير متكاملة ومستوى دخل أسري منخفض | 1 | 1 | 2 |
| المجموع | 50 | 50 | 100 |

الأدوات المستخدمة في الدراسة

لقد تم استخدام مقياس الصحة النفسية لعبد المطلب أمين القريطي وعبد العزيز السيد الشخص، ومقياس الاغتراب (لـ Seman,1956 النسخة المعدلة للجوهرة بنت فهد آل سعود،2004)، ومقياس سمات الشخصية لـ (عبد اللطيف محمد خليفة وشعبان جاب الله رضوان، 1998).

منهجية البحث والأساليب الإحصائية المستخدمة

ولما كانت هذه الدراسة من البحوث الوصفية التي تعتمد في تحليل نتائجها على استكشاف الوضعية النفسية لدى شباب في مشكلات، كان لزاما علينا إتباع الوصف منهجا للدراسة، ولمعالجة نتائج الدراسة الأساسية استخدم الباحث مجموعة من الأساليب الإحصائية كحساب المتوسطات والانحرافات المعيارية، وحساب النسب المئوية، ومقياسT لدراسة الفرق بين متوسطي عينتين مستقلتين، ومعامل الارتباط للاتفاق (C)، ومعامل الارتباط الثنائي الحقيقي أو الأصيل.

## تحديد المفاهيم الإجرائية للبحث

**الهجرة السرية:** هي تلك الهجرة التي يقوم بها مجموعة من الشباب عبر البحر من الساحل الجزائري إلى الساحل الأوروبي عبر القوارب المطاطية، وغالبا ما تتم ليلا. فيقوم المهاجر بحرق كل مراحل التنظيم الرسمي للهجرة، بالإضافة إلى حرق الوثائق المرتبطة بهويته، مما أدى إلى ظهور مصطلح شعبي متداول بين أوساط الشباب يسمى بـ"الحرڤـة" .

**الصحة النفسية:** الصحة النفسية السليمة هي حالة عقلية انفعالية إيجابية، مستقرة نسبيا، تعبر عن تكامل طاقات الفرد ووظائفه المختلفة، وتوازن القوى الداخلية والخارجية الموجهة لسلوكه في مجتمع ووقت ما ومرحلة نمو معينة، وتمتعه بالعافية النفسية والفاعلية الاجتماعية. وذلك كما تقاس بالدرجات التي يحصل عليها أفراد العينة في مقياس الصحة النفسية الذي أعده عبد المطلب أمين القريطي.

**الاغتراب:** هو مجموعة من الأحاسيس يشعر فيها الفرد بالعزلة الاجتماعية، واللامعيارية والعجز، واللامعنى وذلك كما تقاس بالدرجات على مقياس الاغتراب لـ(Seman,1959)، النسخة المعدلة لـ(الجوهرة بنت فهد آل سعود، 2004).

**سمات الشخصية:** هي مجموعة من الصفات للشخصية كما يحددها مقياس سمات الشخصية (لعبد اللطيف محمد خليفة وشعبان جاب الله رضوان).

**رابعا: عرض النتائج**

**1- عرض نتائج الدرجات الكلية لمقياس الصحة النفسية ومقياس الاغتراب**

**الجدول رقم:3 يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات الشباب على مقياس الصحة النفسية ومقياس الاغتراب**

| | مقياس الصحة النفسية | | مقياس الاغتراب | |
|---|---|---|---|---|
| | م | ع | م | ع |
| فئة الشباب الذين خاضوا تجربة الهجرة السرية | 57.84 | 4.06 | 215.20 | 10.18 |
| فئة الشباب الذين لم يخوضوا هذه التجربة | 62.70 | 7.29 | 182.70 | 5.87 |

نلاحظ من خلال **الجدول رقم:3** أن متوسط الصحة النفسية لدى الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية أقل بقليل من المعتدل بينما الشباب الذين لم يخوضوا هذه التجربة يقع متوسط صحتهم النفسية في حدود المعتدل، فكلاهما يتمتع ببعض المظاهر الإيجابية التي تعكس مستوى متوسط من الصحة النفسية. أما بالنسبة للاغتراب، وبالرغم من تشابه الظروف الاجتماعية والاقتصادية بين الفئتين من الشباب، فالشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية يقع مستوى اغترابهم فوق المتوسط، بينما الفئة الثانية من الشباب يقع مستوى اغترابها في مستوى أقل من المتوسط.

**- عرض النتائج الخاصة بدرجات المقاييس الفرعية لمقياس الصحة النفسية، و مقياس الاغتراب**

**الجدول رقم:4 يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات الشباب على المقاييس الفرعية للصحة النفسية**

| | الشعور بالكفائة والثقة بالنفس | | المقدرة على التفاعل الاجتماعي | | التضج الانفعالي وضبط النفس | | توظيف الطاقات والامكانات | | التحرر من الأعراض العصابية | | البعد الإنساني والقيمي | | تقبل الذات وأوجه القصور | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | م | ع | م | ع | م | ع | م | ع | م | ع | م | ع | م | ع |
| خاضوا التجربة | 7.50 | 1.78 | 8.30 | 2.70 | 6.62 | 1.30 | 10.42 | 1.94 | 7.14 | 1.51 | 6.28 | 2.35 | 8 | 1.03 |
| لم يخوضوا | 7.42 | 2.35 | 9.30 | 1.74 | 10.16 | 1.63 | 10 | 1.76 | 9.72 | 1.85 | 10.68 | 1.73 | 9 | 1.19 |

**لجدول رقم:5 يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات الشباب على المقاييس الفرعية للاغتراب**

| | العزلة الاجتماعية | | اللامعيارية | | العجز | | اللامعنى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | م | ع | م | ع | م | ع | م | ع |
| فئة الشباب الذين خاضوا تجربة الهجرة السرية | 65.25 | 5.04 | 42.90 | 4.59 | 49.25 | 3.49 | 57.80 | 3.88 |
| فئة الشباب الذين لم يخوضوا هذه التجربة | 58.70 | 2.55 | 38.05 | 2.60 | 39.20 | 3.08 | 46.75 | 5.04 |

من خلال **الجداول رقم:4 ورقم:5** نلاحظ أن المتوسطات الحسابية تقع ضمن مدى المتوسطات المتوقعة لمجتمع الدراسة، ويمكن الاعتماد عليها في تفسير النتائج، وإجراء التحليل الإحصائي لها.

**2- عرض النتائج الخاصة بمعاملات الارتباط والفروق بين الفئتين من الشباب**

**أ- عرض النتائج الخاصة بمعامل الارتباط بين الاغتراب والهجرة السرية**

**الجدول رقم:6 يبن نتائج معامل الارتباط التتائي الحقيقي $R_t$ بين الاغتراب والهجرة السرية**

| العلاقة الارتباطية | $f^*$ | م | ع | ن1 | ن0 | معامل الارتباط | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الاغتراب – الهجرة السرية | 215.20 | 198.95 | 18.38 | 50 | 50 | 0.88 | دالة عند 0.01 |

من خلال **الجدول رقم:6** نلاحظ أنه توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا وقوية بين متغير الاغتراب ومتغير الهجرة السرية، أي كلما ارتفعت درجات الاغتراب عند الشباب، ارتفع مستوى الاستعداد للهجرة السرية.

**الجدول رقم:7 يبن نتائج معامل الارتباط التتائي الحقيقي $R_t$ بين الصحة النفسية والهجرة السرية**

| العلاقة الارتباطية بين | $f^*$ | م | ع | ن1 | ن0 | معامل الارتباط | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الصحة النفسية– الهجرة السرية | 57.84 | 60.27 | 6.32 | 50 | 50 | - 0.38 | دالة عند 0.01 |

من خلال **الجدول رقم:7** نلاحظ أنه توجد علاقة ارتباطية سالبة، ودالة إحصائيا بين درجات الصحة النفسية والهجرة السرية، أي كلما انخفضت درجات الصحة النفسية عند الشاب كلما أثر ذلك عليه وجعله أكثر استعداد لخوض تجربة الهجرة السرية

**ب- عرض النتائج الخاصة بمعامل الارتباط بين سمات الشخصية والهجرة السرية**

**الجدول رقم:8 يبن نتائج معامل الارتباط للاتفاق (C) بين تكرارات سمات الشخصية (السلبية) والهجرة السرية**

| الهجرة السرية / سمات الشخصية | خاض تجربة الهجرة السرية | | لم يخوضوا هذه التجربة | | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| | ك ح | ك م | ك ح | ك م | |
| المغامرة والمخاطرة | 45 | 40 | 15 | 20 | 60 |
| التغير المزاجي | 23 | 27 | 17 | 13 | 40 |
| العدوانية | 35 | 43 | 29 | 21 | 64 |
| الحساسية- Vulnérabilité | 33 | 26 | 5 | 13 | 38 |
| المجموع | 136 | | 66 | | 202 |
| **معامل الارتباط** C | كا2 التجريبية | كا2الجدولية | DF | مستوى الدلالة المعنوية | |
| 0.26 | 15.01 | 11.34 | 3 | دالة إحصائيا عند 0.01 | |

من خلال **الجدول رقم**8: نلاحظ أن كا$^2$ المحسوبة أكبر من كا$^2$ الجدولية، أي توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا عند مستوى دلالة معنوية 0.01 بين سمات الشخصية لدى الشباب والهجرة السرية، أي كلما اتجهنا نحو الشباب الذين يتسمون بالمغامرة والمخاطرة، والتغير المزاجي، والعدوانية، والحساسية كلما كانت القابلية والاستعداد للقيام بالهجرة السرية عالية، وكلما ابتعدنا عن هذه السمات كلما قل الاستعداد لخوض مثل هذه التجربة.

مما سبق عرضه في **الجدول رقم** 6 و7 و8 نخلص إلى نتيجة هامة وتلفت الانتباه، حيث أنها تشكل "معادلة القيام بتجربة الهجرة السرية"، ويمكن صياغتها على النحو التالي:

درجة اغتراب فوق المتوسط، زائد درجة صحة نفسية تحت المتوسط أو في حدوده، زائد سمات المغامرة والمخاطرة...، يساوي الاستعداد لخوض تجربة الهجرة السرية.

بما أن هذه المتغيرات أساسية لخوض تجربة الهجرة السرية، وجب منذ البداية في إطار التنشئة الأسرية والاجتماعية تدريب شباب الغد على كيفية تحقيق التناسب بين القدرات والاستعدادات والغايات التي يسطرونها، بهدف تكوين مفهوم موجب عن الذات واستغلال موضوعي للقدرات، تجنبا لاستفحال الإحباط والحسرة واللوم التي تؤدي إلى تكوين أفكار خاطئة، ورسوخ مجموعة من الاعتقادات تساهم بشكل مباشر في اتخذ أسلوب حياة خاطئ وبالتالي الشعور بالاغتراب وتدني مستوى الصحة النفسية.

**2- عرض النتائج الخاصة بمقياس** T **لدراسة الفروق بين الفئتين من الشباب من حيث الاغتراب والصحة النفسية**

**الجدول رقم:9 يبين النتائج مقياس T لدراسة الفروق بين الفئتين من الشباب من حيث الاغتراب**

| المقاييس الفرعية | فئة الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية ن=50 | | فئة الشباب الذي لم يخوض تجربة الهجرة السرية ن=50 | | قيمة T | مستوى الدلالة المعنوية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | م | ع | م | ع | | |
| العزلة | 65.25 | 5.04 | 58.70 | 2.55 | 5.17 | دالة عند 0.01 |
| اللامعيارية | 42.90 | 4.59 | 38.05 | 2.60 | 4.10 | دالة عند 0.01 |
| العجز | 49.25 | 3.49 | 39.20 | 3.08 | 9.64 | دالة عند 0.01 |
| اللامعنى | 57.80 | 3.88 | 46.75 | 5.04 | 7.75 | دالة عند 0.01 |

يتضح من نتائج **الجدول رقم:9** أنه توجد فروق دالة إحصائيا على كل مظاهر الاغتراب (الشعور بالعزلة، اللامعيارية، العجز، اللامعنى) بين فئة الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية، وفئة الشباب الذي لم يخوض هذه التجربة لصالح الفئة الأولى، أي أن الشباب الذي خاض هذه التجربة أكثر اغترابا من الفئة الثانية من الشباب بالرغم من تشابه أفراد العينة ككل من حيث الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمهنية. هذه النتائج تؤكد أن متغير سمات الشخصية يلعب دورا أساسيا في اتخاذ أساليب معينة في الحياة.

**الجدول رقم:10 يبين النتائج مقياس T لدراسة الفروق بين الفئتين من الشباب من حيث الصحة النفسية**

| المقاييس الفرعية | فئة الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية ن=50 | | فئة الشباب الذي لم يخوض تجربة الهجرة السرية ن=50 | | قيمة T | مستوى الدلالة المعنوية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | م | ع | م | ع | | |
| الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس | 7.50 | 1.78 | 7.42 | 2.35 | 0.19 | غير دالة |
| المقدرة على التفاعل الاجتماعي | 8.30 | 2.70 | 9.30 | 1.74 | 2.19 | دالة عند 0.03 |
| النضج الانفعالي، وضبط النفس | 6.62 | 1.30 | 10.16 | 1.63 | 11.96 | دالة عند 0.001 |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| توظيف الطاقات والامكانات | 10.42 | 1.94 | 10 | 1.76 | 1.13 | غير دالة |
| التحرر من الأعراض العصابية | 7.14 | 1.51 | 9.72 | 1.85 | 7.63 | دالة عند 0.01 |
| البعد الانساني والقيمي | 6.28 | 2.35 | 10.68 | 1.73 | 10.64 | دالة عند 0.001 |
| تقبل الذات وأوجه القصور العضوية | 8 | 1.03 | 9 | 1.19 | 4.48 | دالة عند 0.01 |
| **الدرجات على المقياس ككل** | 57.84 | 4.06 | 62.70 | 7.29 | 4.11 | دالة عند 0.01 |

يتضح من نتائج **الجدول رقم**:10 أنه توجد فروق دالة إحصائيا لصالح فئة الشباب الذين لم يخوضوا تجربة الهجرة السرية على أغلب مظاهر الصحة النفسية (القدرة على التفاعل الاجتماعي، والقدرة على النضج الانفعالي وضبط النفس، التحرر من الأعراض العصابية، والبعد الإنساني والقيمي، وتقبل الذات وأوجه القصور العضوية) ما عدا الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس، وتوظيف الطاقات والامكانيات، حيث أكدت النتائج أنه لا توجد فروق بين الفئتين من الشباب في هذين المظهرين، وعوما تؤكد النتيجة الحالية أن فئة الشباب الذين خاضوا هذه التجربة أقل صحة نفسية من الفئة الأخرى من الشباب. أما عدم وجود الفروق بين الفئتين من حيث الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس، وتوظيف الطاقات والامكانيات مرده إلى القواعد والشروط التي تحكم الانتماء إلى جماعة الرفاق بحكم الاشتراك في الغاية والمصير، إذ تفرض على أفرادها نوعا من التكافل والتعاون والتعاطف مع بعضهم البعض، خاصة في مثل تلك الظروف الحرجة.

**2- البحث عن النسب المئوية للسمات الأكثر شيوعا بين الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية.**

**الجدول رقم11: يبين النسب المئوية لمدى شيوع صفات الشخصية بين الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية**

| الصفات السلبية | العينة المدروسة من الشباب الذي خاضت تجربة الهجرة السرية | | | الصفات الإيجابية | العينة المدروسة من الشباب الذي خاضت تجربة الهجرة السرية | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ك | ن | ٪ | | ك | ن | ٪ |
| الشك والحذر | 20 | 50 | 40 | التدين والتمسك بالقيم الأخلاقية | 13 | 50 | 26 |
| التعصب، العناد، التهور | 40 | 50 | 80 | الانتماء والوطنية | 16 | 50 | 32 |
| المخاطرة، الاندفاعية | 45 | 50 | 90 | العمل الجماعي | 30 | 50 | 60 |
| العدوانية | 35 | 50 | 70 | تحمل المسؤولية | 40 | 50 | 80 |
| الكآبة، اليأس والسلبية | 27 | 50 | 54 | المثابرة، والثقة بالنفس | 17 | 50 | 34 |
| الشعور بالدونية | 17 | 50 | 34 | التسامح، والتواضع | 13 | 50 | 26 |
| الانتهازية والأنانية | 24 | 50 | 48 | الواقعية | 16 | 50 | 32 |
| القسوة والفتور العاطفي | 28 | 50 | 56 | النظافة والاهتمام الفني | 15 | 50 | 30 |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| القلق والتوتر والحساسية | 33 | 50 | 66 | البصيرة، والثقافة الواسعة | 05 | 50 | 10 |
| ضيق الأفق المعرفي | 45 | 50 | 90 | | | | |

من خلال الجدول رقم:11 يتضح لنا جليا أن الصفات السلبية الأكثر شيوعا بين الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية تتمثل في المخاطرة والاندفاعية، وضيق الأفق المعرفي بنسبة مئوية مقدارها 90%، ثم يليها التعصب والعناد والتهور بنسبة مئوية مقدارها 80%، ثم العدوانية بنسبة 70%، والقلق والتوتر والحساسية بنسبة 66%، والقسوة والفتور العاطفي بنسبة 56%، ثم تليها باقي الصفات الأخرى بنسب مئوية أقل من 50%. أما الصفات الإيجابية تتمثل في صفتين إيجابيتين وهما تحمل المسؤولية بنسبة 80%، والعمل الجماعي بنسبة 60%. أما باقي الصفات الإيجابية الأخرى موجودة بنسب ضعيف لديهم. تشير النتائج أن هؤلاء الشباب لديهم مشاكل صريحة على المستوى الانفعالي والمزاجي. كما لديهم روح عالية جدا للمغامرة التي ترفع مستوى الأمل لديهم، مما يؤدي ذلك إلى نفي النتائج السلبية التي لا تجعلهم يستبصرون جيدا عواقب السلوك الذي يقومون به، وبالتالي يجب التفكير في المجال المهني الذي يشبع رغبات هؤلاء الشاب من حيث روح المغامرة وينمي قدراتهم، والنشاطات التي من خلالها ينفسون عن انفعالاتهم. وأن الوازع الديني لديهم ضعيف، وهو ما يجعلهم يتعرضون إلى الكثير من المتاعب، وعدم قدرتهم على المواجهة وتخطي مختلف العوائق النفسية كالإحباط، والتناقضات والصراعات.

**الجدول رقم12: يبين النسب المئوية للمستوى التعليمي بين الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية**

| المستوى التعليمي | العينة المدروسة من الشباب ن=50 | | |
|---|---|---|---|
| | ك | ن | ٪ |
| ابتدائي | 16 | 50 | 32 |
| متوسط | 20 | 50 | 40 |
| ثانوي | 9 | 50 | 18 |
| جامعي | 5 | 50 | 10 |

يتبين من **الجدول رقم:12** أن النسب المئوية للمستوى التعليمي بين الشباب في ضوء العينة المدروسة منخفض، وهذا ما يؤكده ضعف الأفق المعرفي لديهم في الجدول رقم:11، فمعظم هؤلاء الشباب بنسبة مئوية مقدارها 72% يقع مستواهم التعليمي بين الابتدائي والمتوسط، بينما 18٪ يقع مستواهم التعليمي في المرحلة الثانوية، و أخيرا 10٪ فقط مستواهم التعليمي جامعي.

**الجدول رقم13: يبين النسب المئوية للشباب العاطل والعامل والمتمدرس وفقا للعينة المدروسة من الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية**

| النشاط | العينة المدروسة من الشباب ن=50 | | |
|---|---|---|---|
| | ك | ن | ٪ |
| بطال | 5 | 50 | 10 |
| عامل حر | 40 | 50 | 80 |
| يزاول نشاط دراسي | 5 | 50 | 10 |

يتبين من **الجدول رقم:13** أن النسبة المئوية للشباب العاطل عن العمل في ضوء العينة المدروسة لا يتجاوز نسبة 10٪، بينما الذين يزاولون مهن حرة يقدر بـ 80٪. بينما الذين يزاولون

النشاط الدراسي لا يتعدى 10%، هذه النتيجة توحي لنا بأن المشكل لدى هؤلاء لا يكمن في البطالة في حد ذاتها، وإنما المشكلة في ذلك الاعتقاد الخاطئ الذي تبلور في أذهانهم منذ تنشئتهم على أن تلك المهن التي يزاولونها لا تشبع طموحاتهم ولا تعكس كفاياتهم، وبالتالي لا تخفض من توترهم الزائد. وربما تحيلنا هذه النتيجة في التفكير عن الأسس التي من خلالها نقوم بتوزيع العمل على الشباب.

**خامسا: تفسير النتائج**

1- أكدت الدراسة الحالية أنه توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الاغتراب ومشكلة الهجرة السرية، ويمكن تفسير هذه النتيجة على النحو التالي:

إن البحث المضني للشاب عن العمل ولو كلف ذلك حياته، ما هو في نهاية المطاف إلا سلوك إنساني بحث ينبع من قانون الحاجات البشرية، أي الحاجة إلى الأمن والاستقرار المادي، والتحرر من قيود الأسرة وما تحمله من خطاب مهين للشاب يحمل في طياته نعوت قوية الوقع على نفسية الشاب تصفه بأنه عاجز وعالة على الآخرين، وكلمات أخرى تصيب نرجسيته في عمقها. إن حاجة هؤلاء الشباب للحصول على مورد مادي يمكّنهم من مواجهة مطالب الحياة المدنية المعاصرة يشكل هاجس تفكيرهم، وأن الطريق إلى تحقيق ذلك يأتي من بوابة العمل والاعتماد على النفس إلا أن فرص العمل الرسمية قليلة ولا تلبي حاجات العدد الهائل من الشباب، مما يجعل هؤلاء الشباب يعتمدون على أنفسهم لخلق فرص عمل معينة كامتهان التجارة والزراعة وقطاع البناء إلا أنهم يصطدمون بفكرة أن هذه المهن غير مستقرة ولا تدر ربحا كبيرا عليهم، بل تلبي فقط بعضا من احتياجاتهم اليومية، وأن الاستمرار في هذه الوضعية حسب اعتقادهم أنه يقيد من طموحاتهم، وإبداعاتهم، وتطلعاتهم المستقبلية.

إنه قيد يردهم إلى حالة من السلبية تشعر الشاب بأنه مجرد أداة ولا قيمة له، ولا أفق مستقبلي زاهر فتتوطد لديه مشاعر اليأس، فيقتنع الشباب أن الحل الوحيد لتحقيق كل المطالب والرغبات يكمن في الالتحاق بأوروبا والعمل بها. والوسيلة المتاحة له تكمن فقط في الهجرة السرية، واستخدام القوارب المطاطية للانتقال إلى الضفة الأخرى، لهذا ليس غريبا أن يسلك الشاب هذا الطريق.

مما سبق ذكره يمكننا القول أن الهجرة السرية سلوك يتعلمه الشاب من البيئة المحيطة به، خاصة عندما تصبح هذه البيئة عبء عليه تقف أمام تحقيق حاجاته، ويزداد الدافع إلى الهجرة السرية عندما يصبح لسلوك المخاطرة قيمة إيجابية. إن فكرة خوض تجربة الهجرة السرية فرصة للشباب يختبر فيها شجاعته ومهارته وذكاءه قدر المستطاع. عندما كانت الحياة في المجتمع الجزائري بسيطة وسهلة كانت استجابة الشباب لضغوط الحياة وتهديدات البيئة تكمن في تلك الاستجابات الانفعالية والمزاجية الخفيفة كالقلق والتوتر أو حتى الغضب. وعندما اصطدم شباب اليوم بتهديدات أكثر خطورة في المدنية المعاصرة وما تحدثه من فجوة متزايدة بين الأجيال تجعل من الصعب على الشباب فهم دورهم في المجتمع، بل ويصعب عليهم تحديد الأدوار المتوقعة لهم في المستقبل، وتكوين وجهة نظر متكاملة حول العالم والمجتمع، مما يعرضهم للشعور بالاغتراب. فالمشكلة تتصل مباشرة بمكانتهم الاجتماعية وتقديرهم لذواتهم حتى تكوّن لدى الشباب اعتقاد أن المخاطرة بأرواحهم من خلال الهجرة السرية هي الحل السحري، بل الميكانيزم التوافقي الذي يتحكم في القلق والإثارة ويثني المستقبل لمصلحته. وإذا كان اختيار الشباب لأفعالهم لابد أن يحظى بقبول الآخرين حتى تكون سلوكا سويا، فان

اختيار الشاب فكرة الهجرة السرية لا بد أن تحظى بقبوله هو شخصيا، فهو بذلك يستخدم المحك الذاتي في جعل هذه الفكرة سوية، والشاب عندما يختار هذا الخيار فذلك حسب نظره ما هو إلا تأجيلا للإشباع واعتقاد راسخ في إيجابية المصير، وسيجلب له المنفعة ويحقق له طموحاته لأن الإيمان بالفكرة يجعلها تتجسد على أرضية الواقع. فسلوكه هذا نحو المغامرة مستخدما القارب المطاطي يمثل له معاني كثيرة تشمل تحد الفقر، وتحدي الآخر والشعور بنشوة الانتصار، وتفريغ وتنفيس انفعالي عدواني نحو الذات والآخرين. ومن خلال محاوراتنا لهؤلاء الشباب يتبين بوضوح أن الشاب منهم يجمع أوال تتراوح بين 80.000دج و 200.000دج أو ما يعادل 1500 دولار كمصاريف ضرورية لخوض هذه التجربة، أملا في الثراء والتغلب على جميع صعوبات الحياة. إذن مشكلة هؤلاء الشباب ليست أنهم لا يجدون قوت يومهم، بل مشكلتهم حسب الدراسة الحالية تكمن في الاغتراب، فالشاب الذي خاض تجربة الهجرة السرية شخصا مجزأ الهوية نفسيا واجتماعيا، فهو يشعر بأنه مهمش ومظلوم، مهدور الكرامة ومضطهد. ويعيش في بلد لا تلبي له طموحاته ولا تحقق له الإشباع الكافي من حيث التقدير والمكانة اللائقة به، ليدرك قيمة الانتماء إلى الوطن، فيقتنع بأنه موجود في المكان الخاطئ، ويعيش في فترة زمنية خاطئة. في المقابل يعيش حالة انبهار بالآخر والتطور الذي وصل إليه، وبالتالي الرغبة في محاكاته في سياق الاغتراب والبحث عن الذات المفقودة والهوية المجزأة، وأن ركوب أمواج الخطر والتضحية بالغالي والنفيس على متن قارب مطاطي أصبح أكثر من ضرورة ملحة، وهاجس لا يقاوم.

2- أكدت الدراسة الحالية أنه توجد علاقة ارتباطية سالبة بين الصحة النفسية والهجرة السرية، أي كلما اتجهنا نحو الشاب الذي خاض تجربة الهجرة السرية انخفضت درجات الصحة النفسية. فمستوى العدوانية الكامنة التي يتميز بها هؤلاء الشباب تؤثر تأثيرا مباشرا على مستوى توافقهم البيئي والاجتماعي، والشخصي. فبالنسبة لعدم قدرتهم على تحقيق قدر مقبول من التوافق البيئي لأنهم ينظرون إلى البيئة من حولهم على أنها مصدر تهديد لمصالحهم ورغباتهم، أما فيما يخص عدم قدرتهم على تحقيق التوافق الاجتماعي الكافي، يكمن في نظرتهم إلى المجتمع على أنه تخلى عنهم، والسبب في وضعيتهم الراهنة والحرجة.

إن القيام بالهجرة السرية هو مجرد سلوك استفزازي لمحيطهم ومجتمعهم، وقد يتطور هذا السلوك ويصبح استفزازا لاشعوريا لله عز وجل وإرغامه سبحانه وتعالى على اتخاذ قرار لمصلحتهم أو ضدهم. فالشاب يعتقد أنه من حقه طلب الحماية من الله وأن يحدد له مصيره، وهو بذلك يعيش صراعا لاشعوريا مع القدر يصعب حسمه بدون خوض التجربة.

- كما خلصت الدراسة الحالية أن السمات الأكثر شيوعا بين الشباب الذين خاضوا تجربة الهجرة السرية تتمثل فيما يلي:

❖ شخصية مغامرة ومخاطرة ومندفعة ومتهورة تتجه أكثر فأكثر نحو المتعة والإثارة: إنها شخصية عدوانية تجمع بين السادية والمازوشية، فالسادية لدى هؤلاء الشباب تكمن في صب عدوان الانتقام الوهمي من الآخر، فساديتهم تختلط مع الكثير من الرغبات التي تشمل على العنف والحيازة والسيطرة. أما مازوشيتهم تظهر في تحملهم وتلذذهم بالألم ومشاق الرحلة باستخدام قوارب مطاطية، فالشاب الذي خاض هذه التجربة يعيش حالة من التناقض على مستوى الذات، فهو يتلذذ بالعذاب الموجه نحو ذاته

تخفيفا لمشاعر الذنب التي يعاني منها، وفي نفس الوقت فهو على استعداد لأن يواجه ألم فشل الرحلة السرية، بالإضافة إلى سوء المعاملة، والمذلة والمعاناة. و أن ما يشعر به من عذاب هو حادثة فريدة من نوعها وحالة خاصة، لا يستطيع أحد أن يخبرها إلا من عاشها، ومن منظور نفسي محض قد يكمن الجانب الإيجابي لهذه التجربة في نمو الشخصية وصلابتها لدى البعض منهم، باعتبار أن هذه التجربة ما هي إلا مرحلة انتقالية في تطوير الشخصية نحو النضج والاستبصار أكثر بمفهوم الحياة ومتطلباتها.

مما سبق ذكره يمكنا القول أن الهجرة السرية سلوك ساد ومازوشي خفي ومتبادل في الوقت نفسه، يتأرجح بين العنف والعدوانية من جهة والامتلاك والسيطرة من جهة أخرى.

إن جدلية الحياة والموت تظهر لدى هؤلاء الشباب الذين خاضوا تجربة الهجرة السرية بكل قوة، فهو يخاطر بالحياة رغبة في إثراء الحياة، إلا أننا هنا في موقف يدفعنا أن نفرق جيدا بين سلوك المخاطرة لدى الشخص المريض، والمخاطرة العادية لدى الشاب الذي يخاطر بحياته من أجل غاية يعيد بها صياغة واقعه الذي يصفه بأنه مزري ومرير وبائس طبقا لرغباته، فالمخاطرة هنا وسيلة لتحقيق هدفه، بالإضافة إلى ذلك، الشاب هنا يخاطر تحت تأثير الضغوط والإحساس بالألم والتوتر و الإثارة، فالمخاطرة لدى هؤلاء الشباب كالنار التي قد تنير له الطريق أو تحرقه، بينما لدى الشخص غير العادي فالمخاطرة لديه هدف، فهو يخاطر من أجل تحيق هدف في الغالب يكون ساميا. إلا أن المخاطرة عند هؤلاء الشباب ليست مدروسة بعمق وإحاطة شاملة بكل الظروف أثناء عبوره للبحر أو بعد وصوله إلى الضفة الأخرى، بل نلمس شيئا من الاندفاعية والتهور الذي يرتبط حتما بمستوى تعليمهم المنخفض.

❖ التقلب المزاجي: تؤكد الدراسة الحالية أن سلوك الشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية يتأرجح بين الاكتئاب والسلوك شبه الهوسي ففي حياته الاجتماعية قبل خوض التجربة تراه فاتر الهمة ومهزوما يعاني من عدم الكفاية بينما أثناء خوضه التجربة تراه شديد الحماس قوي العزيمة، مليئا بالحيوية والطاقة بغضّ النظر عن نجاح الرحلة أو فشلها، ويغمره إحساس وهمي بأن الحظ سيفتح له ذراعيه، وأنه محاط بالعناية الإلهية، إلا أن مشاعر اليأس تكون سببا في القيام بهذه التجربة سواء فشلت أو نجحت، لأنه في كلتا الحالتين سيصطدم الشاب بالواقع المرير عندما يصل إلى الضفة الأخرى، ويعيش في حالة من القلق والتستر، فتتقلب الجنة الموعودة إلى جحيم لا يطاق، ففي الكثير من الأحيان يجد صعوبة كبيرة في حصوله على لقمة العيش ليسد رمقه من الجوع أو عندما يُكتشف أمره ويعيدونه من حيث أتى، وهنا مشاعر اليأس تكون أقوى فتجده يصف نفسه على أنه فاشل وسيئ الحظ.

## قائمة المراجع


- إبراهيم مذكور وآخرون، 1975 معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الجوهرة بنت فهد آل سعود، 2008، دراسة عاملية عن مشكلة الاغتراب لدى عينة من طالبات الجامعة السعوديات في ضوء عصر العولمة، بحث منشور على شبكة الأنترانات، مجلة كلية التربية، جامعة الملك سعود
- تحية محمد عبد العال، 1989، العلاقة بين الاغتراب والتواؤمية لدى الشباب، كلية الآداب، جامعة أسيوط.

- شريف نادية محمود ومحمد عودة محمد 1986، مشكلات الطالب الجامعي وحاجاته الإرشادية، دراسة ميدانية، جامعة الكويت
- صالح بن إبراهيم الصنيع، 2000، الاغتراب لدى طلاب الجامعة ، دراسة مقارنة بين الطلاب السعوديين والعمانيين، رسالة الخليج العربي ، العدد الثاني والثمانون السنة الثانية والعشرون ، ص 13 - 61
- عبد المطلب أمين القريطى، 1998، في الصحة النفسية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة
- عبد المطلب أمين القريطي وعبد العزيز الشخص، 1992، مقياس الصحة النفسية للشباب، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.
- عبد المطلب أمين القريطي وعبد العزيز الشخص، 1991، ظاهرة الاغتراب لدى عينة من طلاب الجامعة السعوديين وعلاقتها ببعض المتغيرات الأخرى، رسالة الخليج العربي. العدد: 39 السنة12 ص ص 53–85
- عيدات أحمد، 2008، دراسة أمنية حول الهجرة السرية في الجزائر، إنسان نات، www.ensan.net
- عبد اللطيف محمد خليفة، شعبان جاب الله رضوان، 1998بعض سمات الشخصية المصرية وأبعادها، مجلة علم النفس، عدد 48، ص ص28- 65
- عبد الغني شفيق، 2004، الشباب المغاربي والهجرة السرية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- عبد اللطيف محمد خليفة، 2000، العلاقة بين الاغتراب والإبداع والتفاؤل والتشاؤم ، ندوة علم النفس وتطلعات المستقبل في دول مجلس التعاون الخليجي كلية التربية ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط .
- كنزة الغالي،2004، نساؤنا المهاجرات في إسبانيا، منشورات الزمن، الدار البيضاء.

- Bahro.R, 1978, l'alternative, Stock, Paris
_ Calabrese .R, 1987, Adolescence: A Growth period Conductvive to Alienation. Adolescence, 22 ( 88 ), 928 – 939.
_ Erikson. E & Walker .L 1972, Organizational Structure and Student Alienation, Educational Administration Quarter, Iy, 8, ( 5 ) 15 – 22,
- Jacque l'azure, 1984, La Société altèrnative et les jeunes, santé mentale au Quebec, Volume N°9, Issue 2, Novembre 1984, (p141-149)
- Mendel.G, 1979, Qand plus rien ne va de soi, Laffont, Paris
_ Polk. K, 1984, The New Marginal youth Crime and Delinquency, 30 (3), 462 – 480.